ويبرق، ويمني ويشوق، حتى إذا تشوَّفت له النفوس، قال: هذا من علم المعاملة، وما وراءه من علم المكاشفة، ولا يجوز تسطيره في الكتاب، أو يقول: وهذا من سر القدر الذي نُهينا عن افشائه، وهذا فعل الباطنية، وأهل الدغل والدخل في دين الله يستغل الموجود، ويكلف النفوس بالمفقود، فهو تشويش لعقائد القلوب، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة، فإن كان الرجل يعتقد ما سطره في كتابه، لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقده، فما أقرب تضليله!

وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب بالنار، فإنه إن ترك انتشر بين ظهور الخلق ومن لا معرفة له بسمومه القاتلة، وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سُطِر فيه مما هو ضلال، فيحرق قياسًا على ما أحرقته الصحابة -رضي الله عنهم- من صحائف المصحف التي كان فيها اختلاف ألفاظ ونقص آي، ألا ترى أنهم لو لم يحرقوا تلك الصحائف، وانتشرت في الخلق؛ لحفظ كل إنسان ما وقع منهم إليه، وأوشك أن يختلفوا ويتقاطعوا، وإني لعلى عزم أن أنفرد له فاستخرج جميع هفواته، وأوضح سقطاته، وأبينها حرفًا حرفًا، وفي دونه من الكتب غنية وكفاية لإخواننا المسلمين، وطبقات الصالحين، ومعظم من وقع في عشق هذا الكتاب رجال صالحون لا معرفة لهم بما يلزم العقل وأصول الديانات، ولا يفهمون الإلاهيات، ولا يعلمون حقائق الصفات، ولا يخبرون شياطين الإنس الذين انتدوا للطعن في الدين، وتوهين عمود الاسلام تعطيل الصانع، وإفساد المعجزات، فمن لم يكن عنده تمييز لهذه الأبواب من الذَبِّ عن دين الله تعالى، ونصرة شريعته، لم ينبغ له أن يقفو ما ليس به علم، يمدح على غير علم، ويذم على غير علم، والسلام.

وسُئِلَ أبو العباس القبَّاب عن الرجل يكون بين قوم جُهَّال بأمور الشريعة من الصلاة وغيرها، وهو يحسن أن يقرأ، هل يجوز أن يعلمهم ما يحتاجون إليه من كتب الفقه كالرسالة والجلاب وغيرهما، وهو لم يقرأ شيئًا من ذلك على شيخ أم لا؟

فأجاب: تعليم الناس من الرسالة والجلاب ونحوهما لمن لم يقرأ على أحد لا ينبغي.

لا يفتي الناس من الكتب من لم يقرأ على الشيوخ

وسُئل عن أهل البادية يكون عندهم طالب يحفظ القرآن وليس عنده شيء من الفقه، إلا أنه ينظر في الكتب ويفتي منها الناس بما يعتقد أنه يفهمه منها في أمور الوضوء والصلاة والصيام، ويرى أن تعليمهم ذلك أولى من أن يتركهم على جهلهم؛ لأنهم إن لم يعلمهم بقوا على حالهم وجهلهم، ولا يسألون غيره، ومع ذلك لا يجدون من يسألون، فهل يجب عليه أن يعلمهم ذلك مع أنه لم يقرأ قط على شيخ؟

أو يحرم عليه ذلك؟

أو هو مندوب في حقه ويُؤجر على ذلك؟

بينوا لنا مأجورين.

فأجاب: الذي يفتي الناس بما يرى في الكتب من غير أن يقرأ على الشيوخ لا يَحِلُّ له، نص على ذلك الفقهاء، وسواء وجد غيره، أم لا؟

وسُئِلَ القابسي عن رجل معتزل على الناس معتقد في اعتزاله عسى أن يكف شره عن الناس، فتأخذه نفسه بزيادة ذوي الفضل والديانة، فأيهم أفضل له؛ التزام الحال الأول؟

أم زيادة من ذكرنا في هذا الوقت أفضل له من العزلة؟

فأجاب: أعمال البر إنما يُنتقل فيها من عمل إلى عمل بالنيات الصالحات، فإذا فترت النية في وجه، وقويت في الآخر، كان هذا أفضل ما لم يكن لذلك العمل وقت بعينه لا يصلح أن يجاوزه، فلا يخرج عن ذلك حتى يأتي بذلك العمل فيه، وأما التداوي بذكر الله، فهو محمود فيما تقدم من الزمان، وأما اليوم فهو ألزم وأوجب على من يريد السلامة مما فيه التصرف.

إلا أن يقع شيء يريد إحكام السؤال عنه؛ ليعمل فيه على علم، فلا يجد بُدًّا من أن يتصرف فيه إذا لم يكن له من يخيل عنه، ويتحفظ في تصرفه، ويحفظ سمعه وبصره، فلعله ينجو، ومن أراد الدرجات العلى لا يستحسن منه استشعار المشقة، ويذكر عن عيسى عليه السلام قوله: حُبُّ الفردوس، وخشية جهنم يورثان الصبر على المشقة، ويبعدان العبد من راحة الدنيا، فأفهم ما وصفت لك!

وسُئِل عن البخاري إذا ذكر حديثًا بإسناد واحد في موضعين، هل لمعنى أم لا؟

فأجاب بأن قال: له معنى؛ لأنه قد يكون ذلك الحديث عند غيره بغير ذلك الأستاذ، فكرَّره هو؛ ليبين أنه لو صح فيه غير هذا الإسناد لذكره.

قيل له: إنه لم يصح فيه غير هذا المكرر بإسناد واحد.

قال: نعم! حدَّثنا علي بن حجر، قال: حدَّثنا عيسى بن يونس، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان [1]"، الحديث، قال الشيخ: ليس لعلي

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، وأخرجه مسلم (١٠١٧)، وأخرجه ابن ماجه (١٨٤٣)، وأخرجه أحمد في مسنده (١٨٨٨٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٣٧٣)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (ج٥: ص٢٢٥)، وأخرجه الطيالسي في مسنده (١١٣٢)، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٨٥)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٣٠٦)، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٥١١).

بن حجر عند البخاري، إلا هذا الحديث، وأظن له آخر عن حجر بن المثنى، قال: وهذا الإسناد كوفي يحتج به على أهل الكوفة الذين يقولون القرآن مخلوق.

وسُئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: إذ أخبر عن نزول عيسى بن مريم فقال: "يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يجد يقبله، وحتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها [١]".

فأجاب: السجدة التطوع خير من الدنيا وما فيها، فيتصدق بها.

قيل له: لأن الناس ذلك الوقت في غنى؟

قال: نعم!، كذا في الحديث، ويفيض المال حتى لا يجد أحدًا يقبله.

وسُئِل كيف هو علان العبسي أو علاق؟

فأجاب: قرأ علينا أبو علي بن أبي هلال، عن ابن جبر، عن إسماعيل بن إسحاق القاضي، قال: قال علي بن المديني بن علي: أهل المدينة يقولون: (ابن المسيِّب -بتشديد الياء وكسرها-)، ويقولون: (الحديبيَّة -بتشديد الياء-)، ويقولون: (الجِعِرَّانة -بكسر الجيم وتشديد الراء-).

وأهل العراق يقولون: (المسيَّب -بفتح الياء وتشديدها-)، و (الحُدَيْبِيَة -بتخفيف الياء -، و (الجعرانة -بتضعيف الراء).

وسُئل -رحمه الله- عن الحديث المروي: " الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى الشيء يكرهه، فليتفل عن يساره ثلاثًا، وليتعوذ بالله من شرِّها، فإنها لا تضره [٢]"، ما الفرق بين الرؤيا والحُلم؟

وما الشيء المكروه الذي أُمرنا بالتعوذ منه؟

هل هو في الدين أو في الدنيا؟

وهل هذا المكروه على ظاهره، أو إذا دار عليه عبارته؟

لأن من الرؤيا ما يفرح الناس بظاهره، ويحزن بعبارته، ومن الرؤيا ما تحزن النفس بظاهرة، وتفرح بعبارته، وهل التعوذ منه سبيله سبيل الدعاء؟ ما فائدته؟

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٧٦٢٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٨١٨)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده (٣٠٩)، وأخرجه الطيالسي في مسنده (٢٦٩٨)، وأخرجه الحميدي في مسنده (١١٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٢)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٠١١).

فأجاب: أما الحديث فثابت، ونصه مضطرب عن النبي صلى الله عليه وسلم بألفاظ تتفق على معنى واحد في أن الرؤيا من الله وأن الحلم من الشيطان في " الموطأ " وفي "صحيح البخاري " وغير ذلك، وبعضها أفسر في النص من بعض، من ذلك: ما في الصحيح، عن عبد ربه، وقال: سمعت أبا سلمة يقول: لقد كنت أرى الرؤيا، فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول: وإني كنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدِّث به، إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره، فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثًا، ولا يحدث بها أحدًا فإنها لا تضره [١]".

وفي الصحيح أيضًا قال: حدَّثنا محمد بن سيرين أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا اقترب الزمان، لم تكذب رؤيا المؤمن ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزئًا من النبوة، وما كان من النبوة، فإنه لا يكذب [٢]".

قال: محمد وأنا أقول هذا، قال: وكان يقول: الرؤيا ثلاثة، حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبشرى من الله عز وجل، فمن رأى شيئًا يكرهه، فلا يقصه على أحد، وليقم فليصل، قال: وكان يكره الغل في النوم، وكان يعجبهم القيد، ويقال القيد ثبات في الدين، وذكر في " الصحيح " أن منهم من درج القيد في الحديث، قال: وحديث عون أبين، وهو الذي قدَّمنا نصه، ووصل أيضًا في " الصحيح " أن أبا هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لم يبق من النبوة إلا المبشرات [٣]"، قال: وما المبشرات؟ قال: " الرؤيا الصالحة يراها ". وقد تقدم قوله: " وما كان من النبوة لا يكذب [٤]".

والأنبياء تأتي بالتبشير والتحذير، والأنباء لا شك فيه أنه هو الذي من عند الله عز وجل إذا صدقت الرؤيا فيه، ألم تسمع قوله فيه: " لم تكن تكذب رؤيا المؤمن [٥]"، وقول

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٠٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠١٧).

(٥) أخرجه البخاري (٧٠١٧)، وأخرجه الترمذي (٢٢٩١)، وأخرجه ابن ماجه (٣٩١٧)، وأخرجه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في سننه (٢١٤٤)، وأخرجه أحمد في مسنده (٧٥٨٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٠٤٠)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج٤: ص٣٩٠)، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (ج١: ص٢٨٧).

ابن سيرين كان يقول: الرؤيا ثلاث فاستحمل اثنتين، وتزخريف (كذا) الشيطان قد يأتي بشبه البشرى يخدع بها الذي يراها له.

وقوله: فمن رأى شيئًا يكرهه، فلا يَقُصُّه على أحد، وليقم فليصل هو من باب التعوذ من شر ما يرى.

قال ابن وهب: حدَّثني مالك، قال: كذا محمد بن سيرين رجلا صالحًا، وكان إذا سأله أحد عن رؤيا يكرهها، قال له ابن سيرين: اتق الله في اليقظة، ولا يَضُرُّك ما رأيت في النوم.

وذكر ابن بكير عن مالك، عن يحيى بن سعيد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن امرأة كانت عند عائشة، ومعها نسوة، فقالت امرأة منهن: والله لأدخلن الجنة، فقد أسلمت، وما زنيت، ولا سرقت، فأُتِيَت في المنام، فقيل لها: أنت المثالية لتدخلن الجنة، كيف وأنت تبخلين بما لا يغنيك، وتتكلمين بما لا يعنيك! فلما أصبحت المرأة، دخلت على عائشة، فأخبرتها بما رأت، وقالت: اجمع النسوة التي كن عندك حتى قلت ما قلت. فأرسلت إليهن عائشة فجئن فحدثتهن المرأة بما رأت في المنام.

قال الشيخ: فهذه من التحذير وفطنت المرأة لذلك، وأطلعت النسوة على ما رأت، كأنها رأت أن ذلك توبة من قولها، و لم تنكر عليها عائشة، رضي الله عنها، شيئًا من ذلك، ولا كسرت عليها فيه.

ومن هذا المعنى رأى عمر -رضي الله عنه- أن ديكًا نَقَرَه ثلاث نقرات، وفي بعض الحكايات ديكًا أحمر، فذكرها لأسماء بنت عميس، فزعمت: أنه يقتله رجل من العجم. قال: وإني أظن أن موتي يكون فجأة. وكذلك كان، طعنه أبو لؤلؤة ثلاث طعنات، ومات منهن في يومه، رضي الله عنه ورحمه، فهذه رؤيا قد صدقت، وهي تدخل في التبشير؛ لأنه إذا تبين للمؤمن أمره، فقد أنعم الله عليه بالبيان.

وما يدل قول أبي سلمة: أنه كان يرى الرؤية؛ فتحزنه، وحكي مثل ذلك عن أبي قتادة أنه قاله: حتى سمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله، فطرح المبالاة بها تدل على أنهما كانا يريان في منامهما ترويعًا. ألا ترى إلا ما في " الموطا " عن خالد بن الوليد أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه، ومن عقابه، ومن شر عبادة، ومن همزات الشياطين أن يحضروني".

فطريقة التبشير والإنذار والتحذير من الأفعال مشبهة من طريق الترويع والتخويف بما يعاين في منامه، فإن كان ذلك تثنية عن الخلق، وتصدية عن المعروف، ويزين له عنده الباطل، فهو حُلم من الشيطان، وإن كان في ذلك تنبيه له على ما فعل، أو كشف له عما

غفل، فهو إنذار وتحذير ليس يكون هذا من الشيطان، إلا أن يكون يُبشر في منامه بخير على عمل شر عمله، أو يرى ما يُغبطه بالثبات على سوء أن فعله، فهذا من تزخريف (كذا) الشيطان، فيتعوذ بالله منه من أنصف نفسه.

ومن كيد الشيطان أن يرى المؤمن لمن هو على الحق، ولا يقبل منه إلا ما يرتضيه كما ذكر أن رجلا أتى سحنونًا – رحمه الله –، فجلس حتى انصرف الناس، فلما خلا أخذ في البكاء، فسأله سحنون وألحَّ عليه، فذكر أنه رأى كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس قد حشروا. وقال لسحنون: وأنا أعرفك في منامي كما أعرفك في يقظتي، ووصف له أنه عمل له من الأغلال والسرابيل وأصناف النكال شديدًا، وأنه أُمر به فأُلقي في النار، فانتبه الرجل مذعورًا فيها. قال: وزعموا أن سحنونًا صبَّره وسكته، وأرسل خلف رؤساء كنيسة النصارى، فأتى بإثنين، فجلسا وسألهما سحنون، هل مات لكم في هذا الوقت من تعظمونه؟

قالوا: بلى! فوصفوا أمر حال ميتهم

فقال لهما: هل من شأنكم أن تروا لميتكم في منامكم؟

فقالوا: بلى!

فقال: هل رأيتم لهذا الميت؟

قالوا: نعم! جاءت فيه رؤيا كثيرة، ووصفوا فيها من الخير والترفيع شيئًا عظيمًا، فقال لهما انصرفا! وقال للرجل: كيف ترى هل تشك في هؤلاء، وفيمن مات منهم؟

فقال الرجال: لا!

فقال: اعلم أن الشيطان يأتي المؤمن بما يثبطه، وينفره عن الخير، ويمقته إليه، ويمقت أهله، ويأتي إلى الكافر بما يغبطه إليه في حاله، ويثبته على أمره، وإنه رآك تكثر الاختلاف إلينا، والائتمام بنا، فأراد أن يحزنك ويصدك.

وهذه معاني الحكاية أتيتك بها مستوفاة، فأما الحروف، فما أقوم على حفظها كلها، وما تعمدت تحريفًا ولا نقصانًا.

ولقد بلغني عمن تقدم من فقهاء الأندلس، أنه نزل به من رأى له نحو هذه الرؤية، أو قريبًا منها، فأتى بالذي رآها إلى كنيسة النصارى، ودعاهم وسألهم عن نحو قصة سحنون –رحمه الله.

فهذا الذي حضرني من بيان ما سألت عنه.

وأما التعوذ مما يرى الادعاء (كذا) يتعوذ بالله من شر ما خلق في اليقظة والمنام. ألم نسمع إلى الحديث: أن رجلا ممن أَسْلَمَ قال: ما نمت هذه الليلة.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أي شيء؟

فقال له: لدغتني عقرب.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضرك شيء إن شاء الله تعالى.